البوصيرى شاعر المدائح النبوية
(دراسة مقارنة أدبية)

محمد إلهام صالح
ilham_shaleh@yahoo.com
جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية بمكاسر

Abstrak

Tulisan ini bertujuan untuk mendeskripsikan sosok al-Busairi sebagai sosok sastrawan Islam yang kasidah-kasidahnya terkenal karena pujian kepada pribadi nabi Muhammad saw. Burdah adalah nama untaian syair qasidah yang digubah oleh seorang sastrawan besar pada abad pertengahan yang bernama Imam Bushaery. Untaian syair ini selalu dilagukan para *munsyidun* atau pelantun syair dan nyanyian dengan suara merdu di seluruh dunia khususnya di hari-hari maulid. Syair al-Busairi dikenal sangat indah dan tinggi nilai seninya.

Kata kunci: Al-Busyairy; syair; pujian; kasidah.

١. *مقدمة*

مما لاشك فيه أن الشعر إحدى الفنون الأدبية التعبيرية الجمالية التى يتأثر بها الذواق الأدبيون قرائها كانوا أم سماعوها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرا "وقوله أيضا "إن من الشعر لحكمة" [1].

يقول إبن خلدون فى الشعر: هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً، ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه رَوِيّا وقافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة، وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله وما بعده، وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو نسيب أو رثاء.[2]

أفرغ البوصيري طاقته وأوقف شعره على مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فامتاز شعره بالرصانة والجزالة، وجمال التعبير، والحس المرهف، وقوة العاطفة، واشتهر بمدائحه

[1] أنظر الدكتور حسن شاذلى فرهود وإخوانه، *الأدب نصوصه وتاريخ*، المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف، 1396 هجرية- 1976 مس، ص 123

[2] http://awraq-adbyah.tumblr.com/post/143793351638/ (diakses pada tanggal 9 November 2016)

النوبية، التي ذاعت شهرتها في الآفاق، وتميزت بروحها العذبة، وعاطفتها الصادقة، وروعة معانيها، وجمال تصويرها، ودقة ألفاظها، وحسن سبكها، وبراعة نظمها[3].

فكانت أشعار البوصيرى فى ديوانه معروفة ومشهورة عند المادحين النبى صلى الله عليه وسلم وهى كلمات تعبيرية جمالية فنية ينشدها المنشدون فى إحتفال مولد النبى صلى الله عليه وسلم بالقرى والمدن فى العالم.

وفقا لهذا التعبير السابق، فالبحث الآتي كما يأتى :

أ. من هو البوصيرى وكيف كانت حياته؟

ب. فى أي جهة كانت أشعاره مادح النبي ومقارنتها بأشعارالشاعرين الآخرين؟.

ت. حياة البوصيرى وثقافته

هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجى البوصيرى المصرى شرف الدين أبو عبد الله، أصله من المغرب من قلعة حماد من قبيلة يعرف أبناؤهابنى حينون، ومولده فى بهشيم من أعمال البهنساوية، ينسب تارة إلى بوصير (من أعمال بنى سويف بمصر) لأن أمه منها، وتارة أخرى إلى صنهاجة، لكن آبائه إستوطنوا قرية دلاص أو بوصيرى. ولهذا فإذا نسب إلى أمه فهو بوصيرى النسب، وإذا نسب إلى أبيه فهو دلاصى النسب، وله نسبة ثالثة مركبة منهما معا اللاصيرى لكنه اشتهر بالبوصيرى.

وقد إختلف المؤرخون فى إسم البلدة الذى ولد فيها البوصيرى وقيل انه ولد فى أعمال ببهشيم، والآخر أنه ولد بناحية دلاص، ولكنهما اتفقا على انه ولد فى يوم الثلاثاء أول شوال سنة 607، 608 أو610 هـ.[4]

وقيل إنه بدأ حياته الدراسية بحفظ القرآن، ثم جاء إلى القاهرة، والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر حيث درس العلوم الدينية وشيئا من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب وجانبا من التاريخ الإسلامى، وبخاصة السيرة النبوية، وربما يكون درس فى مساجد أخرى غير مسجد عبد الظاهر.

ثم أقبل على التصوف فدرس آدابه وأسراره، وقد تلقى ذلك عن أبى العباس المرسى[5] الذى خلف أبا الحسن الشاذلى [6] فى طريقته. وكان بين البوصيرى وشيخه علاقة حب، وقد تأثر البوصيرى بهذه التعاليم وظهر أثر ذلك فى شعره واضحا. وكان يطالع المؤلفات التى يضعها النصارى واليهود تأييدا لأديانهم، وقد رأى فيها إنكارا لنبوة محمد صلى الله عليه

[3] http://www.katarapoet.com/%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%80%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D9%8A- (diakses pada tanggal 9 November 2016)

[4] السيد أحمد هاشم، *جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء ولغة العرب*.، دار الفكر: د.س. ص 211

[5] صوفى كبير ألف كتبا كثيرة

[6] مرشد اول طريقة "الشاذلية"

وسلم فدعاه ذلك إلى دراسة الإنجيل والتوراة دراسة دقيقة، كما درس تاريخ ظهور المسيحية، ثم أخذ يرد على اصحاب هذه الديانات، محاولا إقناعهم بأن الإنجيل والتوراة التى بين أيديهم لا تدل على ألوهية عيسى وإنما تدل على نبوته، وإن هذه الأناجيل تخبر بظهور نبي من أبناء إسماعيل، ثم استنكر ما تنسبه التوراة إلى الأنبياء من ارتكاب المعاصى.[7] وتوفى الوصيري سنة 665 هـ بالإسكندرية وقبره بها مشهور يزار.

ج. *أشعارالبوصيري مادح النبي صلى الله عليه وسلم*

وفى تاريخ الآداب العربية يقول رشيد يوسف عطا الله : البوصري شاعر محسن مطبوع اللهجة، عذبة الألفاظ، منسجم التراكيب وقد إشتهرت قصائده فى مدح نبي المسلمين أشهرها القصيدة الميمية المعروفة بالبردة[8] والتى مطلعها :

أمن تذكـــر جيران بذي ســلم مزجت دمــعا جرى من مقــلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق فى الظلماء من إضم
فما لعينيـك إن قلت اكففاهمتا وما لقلبـــك إن قلت استفق بهـم
أيحسب الصب أن الحب منكتم مابين منسجم منه ومضترم

والقصيدة فى سمو عاطفتها ورعة معانيها، نغم عُلويين يشدو به المحبون الأتقياء فيُصَلُّون على النبي ويبتهلون بها إلى الله تعالى، وقوله فى البردة :

دَعْ مَاادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيْهِ وَاحْتَكِمِ
وَانْسبْ إِلَىَ ذَاتِهِ مَاشِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَانْسِبْ إِلَىَ قَدْرِهِ مَاشِئْتَ مِنْ عَظَمِ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُوْلِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيَعْرِبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

كان لبعض أهل الملل مواقف من قصيدة البردة لأنهم فى الأساس يقفون موقف العداء من الصوفية وأهل التصوف، وانكروا عليهم الكثير من أفعالهم وأقوالهم فإبن تيمية ينكر على البوصيرى وذلك لأن البوصيرى وإن كان قد أسقط الربوبية عن النبي إلا أنه غالى فى مدحه غلوا أضاع معه قيمة إسقاط الربوبية، لكن الآخرين رآوا فى مدائح البوصيري النبوية إلا أنه قوة الأسلوب، وحسن الصياغة، وجودة المعانى، وجمال التشبيهات وروعة الصور.

ولعل السبب فى إبداع البوصيرى فى مدائحه يعود إلى اعتقاد الصوفية بأن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يخاطب به[9] وما يقال فى مدحه[10]. لذلك إجتهد البوصيري فى

[7] *المرجع السابق*، ص 81

[8] أول إسم البردة التى يسمي بها قصيدة كعب بن زهير الصحابي الجليل لأنه أغطاه النبي بردته فرحا ورصا اه بعد أن القى أشعارة أمام النبي قصار إسم البردة رمزا للقصائد التى بعده يمدح فيها النبي.إقرأ الدكتور عمر فروخ، *المنهج الجيد فى الأدب الجديد*، بيروت: دار العلم، الطبعة الأولى، دون سنة، ص 91

[9] فى القرأن سورة الحاثية :21

الفوز بإعجاب الرسول حتى تغفر له ذنوبه، وينجى من عذاب النار، ويدخل الجنة هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أراد البوصيري أن لا يقل فى إبداعه لمدح النبي صلى الله عليه وسلم عن كعب بن زهير[11] وحسان بن ثابت[12].

د. المقارنة بينه وبين كعب وشوقي

وامتاز البوصيرى فى مدائحه النبوية بحسن إختياره للألفاظ المناسبة للمقام ومثال ذلك قوله فى وصف جند الرسول صلى الله عليه وسلم :

كأنما الدين ضيفٌ حلّ ساحتهم بكل قرْم إلى لحم العداقَرِم
يجرّ بحر خميسٍ فوق ساحبة يرمى بموجٍ من الأبطال ملتطم
من كل منتدبٍ لله محتسب يسطوبمستأصل للكفرمصطلم

فالشاعر استخدم كلمات جزلة وذات رنين خاص يناسب مقام الحرب، وقلما سمعنا بشاعر إهتم بوصف جند الرسول وبرع فى مثل ما برع البوصيري.

هذا عن الأسلوب، أما من ناحية المعانى فإننا نلاحظ تكرارها، نظرا لتكرارذكر المعجزات ولكنه كان يصوغها فى كل مرة صياغة جميلة، ويضعها فى ثوب جديد، فتبدو فى نظرنا وكأننا لا عهد لنا بها من قبل، ومثال ذلك قوله فى اختفاء النبي فى الغار وهو :

وما حوى الغارُمن خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عمى
فالصدق فى الغار والصديق لم يريا وهم يقولون ما لغار من أرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تَحُمِ
وقاية الله أغنتْ عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأُطُمِ

وهذه القصيدة عارض بها كعب بن زهير فى قوله :

واغيرتا حين أضحى الغارُ وهويه كمثل قلبي معْمورٌ ومأهولُ
كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصدي ق لبثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكوت على وهنٍ فيا حبذانسج وتجليل

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ. وفى الحديث النبي. عَن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خيرلكم تعرض أعمالكم علي فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر إستغفرت الله لكم. قال الحا فظ العراقى : إسناده جيد، الشيخ محمد على المالكى، *مفاهيم يجب أن تصصح*.، خرطوم: مطبعة المساحة، 1407، ص 260

[10] مدح النبي هو نوع الصلوات، إقرأ الشيخ يوسف النبهانى، *جواهر البحار فى فضائل النبي المختار*.، مصر: مصطفى الباب الحلبي، جزء 4، 1960، ص 141

[11] الصحابي الجليل أعطاه النبي بردته حينما مدحه فرحا ورضاله

[12] حسان بن ثابت أشعر الشعراء المخضرمين وهو شاعر النبى وهو الذى أنشد بأبياته المشهورة إستقبال قدوم النبي إلى المدينة المنورة : بطلع البدر علينا من ثنية الوداع، وجب الشكر علينا مادعا لله داع إلخ.

عناية ضل كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها خول

فالصورة التى أخرج بها البوصيري حالة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أقوى وأشد تأثيرا فى النفس من الصورة التي أخرجه بها كعب بن زهير. وقوله " ماحوى الغار من خير ومن كرم أقوى من قول كعب :

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الصدي ق لبثان قد اواهما غيل

ومصدر القوة يعود إلى حالة الصدق التى عبر بها البوصيرى عن واقع الحال، فالثابت أن أبا بكر رضي الله عنه كان خائفا وأن النبي صلى الله عليه وسلم هدأ من روعه، وقد حكى القرآن الكريم ذلك فى قوله: "إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا.(التوبة: 40). والثابت كذلك أن العنكبوت والحمام قد لعبتا دورا هاما فى صرف أنظار المشركين عن الغار.

وقول البوصيري :

وقاية الله أغنتْ عن مضاعفة من الدروع وعن عالٍ من الأُطُمِ

أقوى بكثير من قوله :

عناية ضل كيد المشركين بها وما مكايدهم إلا الأضاليل

وقول البوصيري :

"وكل طرف من الكفار عنه عمى " أقوى من قول كعب : كأن أبصارهم من زيغها خُولٌ ".

فلكل من الأبيات الأولى والثانية إيحاء خاص فى النفس. وقد أشار البوصيري إلى إعجاز القرآن فى الهمزية واللامية، ولكن المعنى تبلور فى ذهنه، واتسع وقوى، فجاء به فى البردة على نحو رائع إلى حد بعيد، وهذا هو مظهر الجدة الذى أشرنا إليه، فلم يكن التكرار عنده عبثا، يأتى به لملء الفراغ، بل كان لعرض فكرة إزدادت وضوحا فى ذهنه. وهذا مما يشوفنا إلى قراءة قصائده والوقوف عند المعانى المشتركة فيها والموازنة بينها واستنباطأوجه القوة غلى اختلاف درجاتها، فالينظر إلى أبيات البردة لنرى ما فيها من التشبيهات اللغوية والصور الرائعة والحكم الخالدة.

ولعل أغلب الشعراء الذين مدحوا الرسول بعد البوصيري إعتمدوا على معانيه وألفاظه زعباراته التى وردت فى البردة. إن الإبداع فى شعر البوصيرى بوجه عام وفى قصيدة البردة بشكل حاص جعل الكثير من الشعراء يتأثرون بها ويحاولون تقليدها وفى طليعة من قلدها ونهج نهجها فى العصر الجديث أمير الشعراء أجمد شوقى فى قصيدة الخالدة " نهج البردة ".

ويفتتح أحمد شوقى قصيدته " نهج الردة " بالغزل كما فعل البوصيري، ثم مخاطبة النقس، ثم الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته السمحاء العظيمة. وستبقى

البردة رمزا مثاليا للمدح القائم على الإعجاب والذوبان عن الممدوح. ومما قاله الشوقى فى نهج البردة [13]:

ريمٌ على القاع بين البان والعلم أحلّ سفكَ دمي فى الأشهر الحرم[14]
رمي الفضاء بعيني جؤذر أمدا يا ساكن القاع أدركْ ساكن الأجمِ[15]
لما رنا حدثتني النفس قائلة يا ويحَ جنبك بالسهم الغصيب رُمِي[16]
جحدتها وكتمت السهم فى كبدي جُرْح الأحبة عندي غير ذي الـمِ[17]
رزقت أسمح مافى الناس من خُلق إذا رُزقت التماس العُذر فى التهم[18]

ثم ينتقل بعد هذا شوقى لبتحدث عن معراج النبي إلى السماء العليا :

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكته والرسل فى المسجد الأقصى على قِدم
لما خطرت به إلتفوا بسيدهم كالشُّهب بالبدرأو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر ومن يفز بحبيب الله يأتمـم
جُبْتَ السموات أو مافوقهم بهم على مُنوّرةٍ ذريةٍ اللَّجُمِ
حتى بلغتَ السماءً لا يُطار لها على جُناحٍ ولا يسعى على قدمِ

وقيل: كل نبي عند رتبته ويا محمدٌ، هذا العرش فاستلم

لو وازنا بين بردة للبوصيرى ونهج البربدة لأحمد شوقي لوجدنا أن الشاعرين جهدا على اتباع اسلوب التقليد للقصيدة العربية القديمة، لا من حيث النهج فى التصيم والبناء فحسب، بل من حيث استخدام القاموس اللغوي للعربية الفصحى فى جاهليتها، والإيحاءات، والمعاني. فنحن عندما نستمع للشاعرين وهما ينشدان قصيدتيهما، فإننا نكون فى حالة من يستمع إلى شاعر جاهلي، فتنتفي الأزمنة وتنمحى الأمكنة بينهم.

فكلا الشاعرين البوصيري وشوقى يقفان على الآثار والدمن ليتذكرا الأحبة فينشدان قصائد يفتتحانها بالغزل، وإظهار الشوق والحنين إلى من تركن الديار، وهجرن الأحبة ثم يذرفان الدمع على ذلك الماضى السعيد والأيام الحلوة الهنية.

ولكن البوصيري كان فى غزله اشد التصاقا من حيث العاطفة بمن يحب من شوقي الذى عبر عن الفكرة دون أن يلج إلى مضامينها، فيبدى وصف معاناته، إنك عندما تصغى إلى

[13] الديوان 1 ص. 190

[14] الرئم :أو الوئيم : الظبي الخالص البياض، والقاع: الأرض السهلة، والبان جمع بانة: ضرب من الشجرة

[15] الجؤذر: ولد البقرة الحشية، والأجم جمع أجمة وهى الشجر الكثير الملتف وهو مسكن للأسد

[16] رنا: آدام النظر مع سكون الطرف. ويا ويح : كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه

[17] جحدتها: الجحود: الإنكار مع العلم

[18] الشيم جمع شيمة وهى الخلق والطبيعة

الشاعرين وهما يتغزلان ستجد نفسك متأثرا عند سماع البوصيري ومطروبا معتزا عندما تسمع شوقى.

لقد حاول شوقي أن يخاطب البوصيري فى نهج البردة فى كثير من مواقفه، التعبيرية، واستيحاءاته التصويرية، ولكن بقالب جديد أقرب إلى العصر، وخاصة عند مخاطبة شوقي النفس والطلب منها أن ترتدع عن ترك المعاصى، فالبوصيري يرى أن الشيب وضعف الجسد هما أكثر الأمور الحاحا لأن تزجر النفس وتبعدها عن شهواتها، بينما يرى شوقي أن سمو النفس من الدنايا هو امر واجب لترتفع عن عالم الحيوان إلى عالم الإنسانية العاقلة.

وعندما يقف البوصيري ليمدح النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يجهد نفسه فى اختيار أجمل الصفات ليضعها فى الرسول الكريم، وعندما يتحدث عن المعراج النبوي فإنك تحس وأنت تسمعه يصف ذلك المعراج كأنك تواكب النبي صلى الله عليه وسلم فى رحلته وليس مجرد مشاهد من بعيد كما يفعل شوقي فى ذلك الوصف. وعندما يتوسل البوصيري بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه لا يكتفى بأن يقف على بابه طالبا منه المساعدة كما فعل شوقي، بل يصر على الدخول إلى بيت النبي بيت الرحمة ليكون مصيره فى الآخرة مأمونا، فهو لاطاقة له على تحمل العذاب فى الدنيا فكيف فى الآخرة.

هـ. *الخلاصة*

وبعد أن ألقينا الضوء عن أشعار البوصيري ومقارنته بين أشعار كعب وشوقي والخصائص الفنية فيها فتأتى الخلاصات كالضوء الأخير من هذا البحث منها :

1. ومن شعر البوصيري وقف النقاد ما بين معجب به وغير معجب، والإعجاب وغير الإعجاب إنما نسبي وجزئي وليس عاما، وهذا ما اعتدنا أن نسمعه من النقاد القدامى والمحدثين.
2. شعر البوصيري أنه فى غاية الحسن واللطافة، عذب الألفاظ، منسجم التراكيب
3. كل البلاد الإسلامية مدينتهم وقراهم يتغنى وينشد المنشدون ايام المولد النبي البردة للبوصيري يرجون شفاعته وبركته مصلحة فى الدنيا والآخرة.

المراجع

الشيخ إبن العماد، *شذرات الذهب فى أخبار من ذهب.*، بيروت : دار التراث العربي، دون السنة.

الشيخ ابن كثير، *البداية والنهاية*، مصر: دار الكتب العلمية، مج 7، دون سنة

الشيخ إبن خلكان، *وفيات الأعيان*، مصر: طبعة محى الدين عبد الحميد، ج 1، 1938 م.

الشيخ السهروردى، عوارف المعارف، مصر: دون سنة

الشيخ عبد الغني النابلسى، *شرح ديوان ابن الفارض*، بيروت: دارإحياءالتراث، دون سنة

الدكتور عبد الرحمن بدوي، *شطحات صوفية.*، الكويت: وكالة المطبوعات، 1976 م

الأستاذ إبن حجة الحموى، *خزانة الأدب.*، مصر: دون مطبعة، 1394 هجرية

الدكتور علي نجيب العطوى، *البوصيري، شاعر المدائح النبوية وعلمها.*، بيروت:دار الكتب العلمية،طبعة أولى، 1990:1415هـ

http://awraq-adbyah.tumblr.com/post/143793351638/

http://www.katarapoet.com/%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D9%84%D9%80%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%88%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D9%8A-